طوبال عثمان باشا ودوره الإداري والعسكري في الدولة العثمانية 1664-1733م

م.د. نجم الدين عبدالستار صادق ليلاني
جامعة كركوك /كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

كان طوبال عثمان باشا أحد أبرز القادة العثمانيين ذاع صيته في النصف الأول من القرن الثامن عشر وتبوأ مناصب عليا، أثبت حسن إدارته وكفاءته ومقدرته في أداء المهام الموكلة إليه، ولاسيما دوره في تعزيز السلطة العثمانية في البلقان فلمع نجمه وبرز كرجل دولة حتى نال ثقة السلطان محمود الأول عندما كلفه لتولي منصب الصدر الأعظم (1731- 1732م) عزل عن منصبه ثم كلف واليا على ولاية طرابزون ومن ثم وأرضروم وتفليس وفي نهاية عام 1732م حين حاصر نادر شاه ولاية بغداد عين قائدا عاما لفك الحصار الفارسي عن بغداد ومنح لقب (سر عسكر أقاليم الشرق).

وتمكن طوبال باشا من إنقاذ ولاية بغداد وإلحاق الهزيمة بقوات نادر شاه إلا أن الأخير تمكن من إعادة تشكيل قواته في مدينة همدان، وتقدم لملاقاة خصمه طوبال باشا المتحصن في قلعة كركوك وكان بإمكان الأخير تجنب الصدام، ولاسيما بعد أن سرح غالب عساكره الأجيرة، ولكن لشجاعته بوصفه قائدا ميدانيا، فضل الثبات والاستقامة على الانسحاب والفرار، ففي سهل ليلان سنة 1733م التحم الجيشان في معركة غير متكافئة، وعلى الرغم من تدهور صحة طوبال باشا، إلا أنه امتطى جواده ودخل ميدان المعركة وقاتل ببسالة حتى سقط صريعا على أرض المعركة وبذلك خسرت الدولة العثمانية قائدا شهما ومخلصا لم يبخل في الدفاع عنها.

الكلمات المفتاحية: طوبال عثمان باشا، سلطان محمود الأول، القوات العثمانية، حصار بغداد 1733، الحروب العثمانية الصفوية، الصدر الأعظم، أحمد باشا، نادر شاه، ليلان، كركوك.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

Topal Osman Pasha and his administrative and military role in the Ottoman Empire 1664-1733 AD

Dr. Najmaddin A. Sadiq Laylani
Kirkuk University / College of Education for Human Sciences

Abstract:

Topal Osman Pasha was one of the most prominent Ottoman commanders whose reputation rose in the first half of the 18th century. He held high-ranking positions, demonstrating effective administration, competence, and ability in carrying out his assigned duties. Notably, he played a significant role in strengthening Ottoman authority in the Balkans, which led to his rise as a distinguished statesman. He gained the trust of Sultan Mahmud I, who appointed him as Grand Vizier (1731–1732). Although he was later dismissed from this position, he was appointed as governor of the provinces of Trabzon, then Erzurum, and Tbilisi. At the end of 1732, when Nader Shah besieged the province of Baghdad, Topal Osman Pasha was appointed as the supreme commander to lift the Persian siege on Baghdad and was granted the title of *Serasker* of the Eastern Regions.

Topal Pasha successfully saved Baghdad and defeated Nader Shah's forces. However, Nader Shah managed to regroup his troops in the city of Hamadan and advanced to confront Topal Pasha, who was stationed in the fortress of Kirkuk. Although Topal Pasha could have avoided the confrontation, especially after having discharged most of his hired soldiers, his bravery as a field commander led him to choose steadfastness over retreat. In the plains of Lailan in 1733, the two armies engaged in an uneven battle. Despite his deteriorating health, Topal Pasha left his litter, mounted his horse, and entered the battlefield, fighting valiantly until he fell martyr on the field. Thus, the Ottoman Empire lost a noble and loyal commander who did not hesitate to defend it.

Keywords: Topal Osman Pasha, Sultan Mahmud I, Ottoman Military Leadership, Baghdad Siege 1733, Ottoman–Safavid Wars, Nader Shah, Lailan, Kirkuk, Ahmed Pasha, Grand Vizier.

المقدمة:

حظيت الدولة العثمانية خلال تاريخها الطويل الذي امتد الى أكثر من ستة قرون بعوامل نجاح عديدة، منها ما رافقت مراحلها الاولى فأسهمت في بنائها وتطورها حتى غدت في عهد السلطان سليمان القانوني (1520–1566م) امبراطورية مترامية الأطراف شملت أملاكها أجزاء من ثلاث قارات اوربا وآسيا وافريقيا، ومنها ما أسهمت في المحافظة عليها وديمومة صمودها في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

وإذا ما أردنا تحليل عوامل النجاح التي أشرنا اليها لا ريب أننا سنجد أن عناصر الكفاية والإخلاص والشجاعة –وهي عناصر ضرورية في بناء أي دولة والمحافظة عليها– قد كانت متوافرة لدى غالب الشخصيات العثمانية التي تبوأت مواقع المسؤولية من حكام وقادة ميدانيين الذين أبلوا بلاء حسنا في خدمة الدولة العثمانية والتصدي لأعدائها.

إن اختيارنا لهذا الموضوع يأتي في سياق الاسهام لتعزيز الدراسة الاكاديمية عن الشخصيات القيادية التي تزخر بها الدولة العثمانية ممن اثبتوا وجودهم في الساحة السياسية او الإدارية والعسكرية، وكان لهم دور مميز في خدمة الدولة، وتنقلوا بين عدة وظائف ومناصب تلبية لحاجة الدولة والمرحلة الزمنية التي تمر بها. فيا ترى من هو عثمان باشا المشهور في كتب التاريخ بلقب (طوبال = الاعرج)، وما سيرة هذا القائد العثماني، وكيف قضى حياته في سلك الوظيفة وفي خدمة الدولة العثمانية، وكيف ختم تلك الحياة؟

أولا: ولادته ونشأته:

ولد طوبال عثمان باشا في سنة 1664م[1] في شبه جزيرة الموره [2] (Moree) من أعمال اليونان، من عائلة تركية تعود أصولها إلى مدينة قونية في الأناضول، وكان والده يدعى بكير

(1) اختلفت الروايات في تحديد تاريخ مولده إذ تشير بعض المصادر إلى أنه ولد ما بين سنتي 1663-1664م في حين أن مصادر أخرى تذكر سنة 1692م ولكن الأغلب تؤكد على سنة 1664 (البغدادي، 2003، ص361).

(2) **الموره:** وهو اسم شبه جزيرة البيلوبونيز، وتأسست فيها أول إمارة إفرنجية سنة1207م، وضمها البيزنطيون، ومن ثم العثمانيون واحتل البنادقة عدة مناطق منها، إلا أن العثمانيين اجبروهم على التنازل عنها بموجب معاهدة بساروفيتز 1718م، أصبحت معقلا للحركة الوطنية اليونانية، لذا اجتاحتها القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا (18124-1827) وأجبرت القوات الفرنسية على الانسحاب، ومن ثم ضمتها اليونان (موستراس، 2002، ص462).

آغا، إلا أنه ترعرع وتثقف في سرايا إستانبول إذ دخل في خدمة السلطان العثماني في سن مبكرة، وبمساعدة من ابناء بلدته(Cebeci, (n.d), s.4-8) والتحق أولا في صنف قيزبكجي (kizbekç)[3] وبعد مدة من الخدمة في الصنف المذكور ووفقا للقوانين والإجراءات المعمولة بها في قصر طوب قابى (Topkapi) ترقى إلى منصب پاندول باشيلق(**pandol başı**) (Erogho, 2005, s.186). لقد اكتسب عثمان باشا شهرة كبيرة بأداء مهامه بأحسن وجه في القصر وفي حدائق السراي العثماني (Cebeci, (n.d), s.4-8). لذا كلف بمهمة خاصة من قبل السلطان مصطفى الثاني (1695– 1703م) إلى حاكم مصر سنة 1698م، لم ترد في أي من المصادر نوع المهام التي كلف بها عثمان بك حين أرسل إلى مصر، ونستنتج من ذلك أن المهمة كانت في سرية تامة.

خرج عثمان باشا مع رفاقه من استانبول سالكين الطريق البري (قره يول= **kara yolu**) حتى وصلوا إلى مدينة صيدا اللبنانية ولكنهم اضطروا لركوب للبحر؛ خوفا من مخاطر الطريق البري الى مصر ولاسيما من غارات افراد من العرب الرحالة ، وفي طريق رحلته البحرية في الحوض الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط تعرضت سفينتهم للقرصنة الإسبانية وهي في طريقها لمدينة دمياط المصرية، وفي أثناء الاشتباك مع القراصنة أصيب عثمان باشا بجروح بليغة في ذراعة وساقه تركته أعرجا طوال حياته (Cebeci, (n.d), s.4-8)، وعلى اثره لقب بـ (طوبال)[4] ومن ثم تم اقتياده كرق إلى مالطا وهناك حيث اشتراه قبطان فرنسي من مرسيليا يدعى فنسنت آرنود(Vincent Arnaud)، بمبلغ 600 دوكا[5]، وقد قام الأخير بعلاج جراحه ومن ثم اعتقه وأسفره إلى مصر على متن سفينة تحمل العلم الفرنسي، وبعد إتمام مهامه مع حاكم مصر عاد طوبال باشا إلى استانبول (Cebeci, (n.d), s.8-9).

---

(3) **أوجاق القيزبكجي:** (أوجاق = الصنف) والقزبكجية تتكون من مقطعين (قيز = بنت وبكجي = حارس) سميت بهذا الاسم وفقا لقصة من المحتمل أن تكون خرافية، مفادها أن كبير قوادهم منع بنتا مجنونة من بنات الحريم السلطاني من الهرب. وأن السلطان محمد الفاتح (1451-1481م) أنشأ أوجاقا يسمى بـ(أوجاق قزبكچية) وعددهم أربعين رجلا وقائدهم يدعى قزبكچى باشى (kizbekçi başi)، وقد تحرف الاسم فيما بعد فأصبح (kuzbekçi) ومهامهم الإشراف على توفير المياه وتقديمها للسلطان كمياه الشرب والاغتسال في الاحتفالات والمناسبات، ويفرشون للسلطان سجادة الصلاة حين الذهاب إلى المسجد، ويكنسون المقصورة حين يمتطي حصانه. (جب، 1971، ص246).

(4) **طوبال:** كلمة تركية وتأتي بمعنى الأعرج (الخوري، 1894، ص204).

(5) **دوكا(ducat):** عملة ذهبية لجمهورية البندقية الارستقراطية، احتل موقع الصدارة كأهم نقد منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر. وقد عد المقياس الأساس للمدفوعات التجارية حول حوض البحر المتوسط وما وراءه (باموك، 2005، ص34).

وأشارت بعض المصادر إلى أن طوبال عثمان باشا بمجرد وصوله إلى القاهرة بادر الى إرسال (1000) دوكات من الذهب و(500) قطعة نقدية فضية وبعض الهدايا لمخلصه السخي آرنود مقابل الفدية التي دفعها بدلا عنه للقراصنة الإسبان، وكان الأخير واثقا من أن الرجل التركي سيحفظ وعده[6].

اتصف طوبال عثمان باشا بالسخاء والتواضع والإخلاص، بل كان صديقا لكل جندي، تحلى بالشجاعة وقدم خدمات جليلة للدولة العثمانية (لونكريك، 1985، ص173–174)، وشارك في العديد من المعارك، ففي سنة 1711م وبأمر من الصدر **الأعظم** (Grand Vizier) محمد باشا البالطجي (1710–1711م) كلف بمهام تأمين وحماية جسر بروت (prut) في الحرب العثمانية – الروسية سنة 1711م التي عرفت بحملة بروث [7]؛ نسبة إلى نهر بروث على حدود ولاية البغدان (مولدافيا الحالية) (كواترت، 2004، ص94)، وشارك في حملة الموره التي عرفت بـ(حملة بروت)(Prut seferi) (Özcan,2012, s.244)، مع الصدر الأعظم الداماد علي باشا(1713–1716م) وذاع صيته هناك حين تمكن من ردع قطاعي الطرق الخارجين عن القانون وضبط الأمن هناك (Cebeci, (n.d), s.4-8)، وشارك في معارك فنديك (Venedik) ضد البنادقة[8] (فينسيا الحالية) سنة 1714–1715وبتوصية من الصدر الأعظم ترقى إلى رتبة أمير الأمراء (beyler bey) سنة 1716م (سامي، 1311هـ، ص3127)، وفي سنة 1717 على اثر عزل حاكم الموره عبد الله باشا عين طوبال عثمان باشا حاكما بدلا عنه، ثم اصبح قائدا عاما (سر عسكر الموره) في اليونان (لونكريك، 1985، ص173–174)، وبعد مدة وجيزة تصدى طوبال باشا لسفن البنادقة وشن حملة عسكرية على السفن والقلاع العائدة للبنادقة في

(6) يذكر أن أول عمل قام به طوبال عثمان باشا حينما تولى الصدارة العظمى إرساله دعوة بمساعدة السفير الفرنسي في إستانبول إلى جزيرة مالطا طالبا من السيد آرنود تلبية دعوته والحضور إلى إستانبول، وبالفعل وصل الأخير في كانون الثاني 1732م وبصحبة ابنه و12 من الأتراك الذين كانوا يقبعون في سجون مالطا، واستقبلهم الصدر الأعظم بحفاوة كبيرة وقال لضباطه ولكبار رجالات الدولة: أنا لمدين لهذا الرجل بحياتي لقد كنت أسيرا وجروحي تنزف ومقيد بالسلاسل أنقذني وضمد جراحي وكان يجهل شخصيتي، ودفع فدية كبيرة لأجلي وجهز لي سفينة لتقلني إلى وجهتي من دون أية ضمانات (Poroy, 2016, s.19-23).

(7) في حين ذكر اسم الحملة في المصادر التركية اللاتينية بحملة بروت (prut seferi) (Kazici, 2011, s.307).

(8) هم سكان مدينة فينسيا (Venice) الواقعة على رأس البحر الأدرياتيكي وكانت من اهم المراكز التجارية حتى العصور الوسطى، . كانت اقوى دولة بحرية في البحر المتوسط وأغناها، إذ كانت تسيطر على تجارة الشرق والغرب، وكانت جمهورية البندقية أقامت مجدها على التجارة الخارجية، معتمدة على أساطيلها التجارية بشكل كبير (المحامي، 1981، ض170-171؛ الشناوي، 2004، ص153).

الحوض الشرقي من البحر المتوسط وتمكن من إغراق ست سفن للبنادقة من نوع فرقاطة [9] وأحكم سيطرته على تسع سفن أخرى فضلا عن اسر 200 شخص منهم (Poroy, 2016, s.20).

تولى طوبال عثمان عدة مناصب إدارية وتقلد حكم عدد من الألوية (السناجق) ولاسيما في الولايات العثمانية الأوربية، إذ عين حاكما على سنجق البوسنة في21 شباط 1719م، وفي حزيران 1721م عين حاكما على الروم إيلي(Rum-eli) [10] ولمع نجمه بتأدية مهامه، وحسن ادارته، وأكسبه ذلك حب الناس، فضلا عن اتخاذه القرارات الجريئة والمناسبة في مواجهة المشكلات، ولاسيما تنفيذه للأحكام إزاء الخارجين عن القانون والنيل منهم بغية استتباب الأمن في البلقان (Cebeci, (n.d), s.77).

وقضى طوبال عثمان باشا حياته كرجل دولة ولخدماته الجليلة، وحنكته السياسية نال ثقة السلطان محمود الأول (1730–1754م) الذي كلفه بتولي منصب الصدر الأعظم(افندي، 1271هـ، ص123)، في مدة ما بين22 أيلول 1731–12 أذار 1732م[11]، وفي مدة صدارته قام بسلسلة من الاصلاحات الإدارية والمالية وما رافقها عدد كبير من التعيينات؛ بغية كبح جماح بعض علماء الدين وقادة العسكر فضلا عن ذلك أسهم في تحسين القدرات الدفاعية للدولة على الجبهة الأوربية، فأمر ببناء العديد من الحصون والقلاع على طول الحدود مع روسيا والنمسا بشكل خاص (البياتي، 2009، ص123). وللنهوض بالجانب العسكري، استعانت الحكومة العثمانية بالخبرات الأوربية وتمكن الصدر الأعظم طوبال عثمان باشا من تقديم النبيل الفرنسي الكونت دي بونفال[12](Count De Bonnval) إلى السلطان محمود الأول الذي عهد اليه

(9) **فرقاطة (Frigate):** نوع من أنواع السفن الحربية تحوي (10-17) مقعدا للتجذيف، ويعمل على كل مجذاف شخصان ، وسعتها في اثناء الحرب (80) شخصا ، مزودة بالمدافع (ليلاني، 2009، ص155).

(10) **الروم إيلي:** مصطلح أطلق في العهد العثماني على المناطق التي سيطر عليها العثمانيون في أوربا باسم الروم أيلى أي: بلاد الروم؛ نسبة إلى مذهب الروم الأرثوذكس السائد في الروم أيلي تركيا الأوربية، وشمل الإقليم الذي ضم كلا من: تراقيا ومقدونيا وبلغاريا وصربيا وغيرها من البلاد الواقعة بين البلقان والبحر الأسود وبحري مرمره و إيجة وسلسلة جبال اليونان (حلاق، 1999، ص104).

(11) تولى الصدارة العظمى في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الأول وقد سبقه في ذلك المنصب 121 صدرا اعظم ، عزل عن منصبه وتم تعيينه واليا على طرابزون ثم أرضروم ثم تفليس (Poroy, 2016, s.15, Cebeci, (n.d), s.4).

(12) **دي بونفال (1675-1747م):** ضابط فرنسي عهد إليه تنظيم فرق الجيش وكان له بصمة واضحة في تصميم أولى المدافع العثمانية الحديثة، أدى دورا سياسيا بحكم قربه من السراي العثماني بوجوب عقد تحالف عثماني – فرنسي لمواجهة التهديد الروسي للممتلكات العثمانية ، وأدى دورا كبيرا في تثقيف الفئات الحاكمة،

إدخال النظام الأوروبي في الجيش العثماني واقتصر التجديد على فرقة المدفعية (الخمبرجية)[13] أكثر من باقي أصناف الجيش؛ لأن قوات الانكشارية كانت تعارض الإصلاحات والتجديد؛ خشية تقليل نفوذهم (مانتران، 1993، ص423-424).

وكان للصدر الأعظم طوبال عثمان باشا دور ريادي في تطوير الصنف المذكور بتوفير كل المستلزمات الضرورية لهم مثل: الورش والثكنات فضلا عن توفير الأرض المناسبة لتدريب الجنود على غرار القوات الفرنسية والنمساوية (Shaw, 1976, p.241)، وبتوصية منه منح السلطان دي بونفال الذي عرف فيما بعد بأحمد باشا رتبة أمير الأمراء (بكلر بكي) (Uyar, 2009, p.115).

توجت صدارته أيضا بالانتصارات التي حققتها القوات العثمانية على بلاد فارس (أوزتونا، 1988، ص612). وفي 12 أذار 1732م **عزل طوبال عثمان باشا عن الصدارة** العظمى وعهد اليه ولاية تبريز خلال مدة خضوعها للسيطرة العثمانية (البغدادي، 2003، ص361؛ عبدالله، 2014، ص315)، ثم اصبح واليا على طرابزون وأرضروم ثم تفليس وأخيرا قيادته للحملة العثمانية لإنقاذ بغداد (Cebeci, (n.d), s.4).

ثانيا: دور طوبال عثمان باشا في إنقاذ بغداد من أطماع نادر خان قولي:

على اثر تولي السلطان محمود الأول عرش السلطنة العثمانية أمر باستئناف القتال مع بلاد فارس، ولاسيما بعد استقرار الأوضاع الداخلية في البلاد والقضاء على تمرد الاضطرابات الداخلية لذا صدرت الأوامر من الحكومة العثمانية إلى والي بغداد أحمد باشا بقيادة حملة على بلاد فارس إيذانا بإعلان الحرب ، وسار أحمد باشا إلى كرمنشاه وسيطر عليها من دون مقاومة في 30 تموز 1731م وتغلب على الشاه طهماسب الثاني(1702-1740م) في معركة عنيفة بين الطرفين في 16 أيلول 1731م دارات رحاها في صحراء كوريجان [14] ، وتم إفناء ثلاثة أرباع الجيش الإيراني المؤلف من (40000) مقاتل ثم ما لبث أن استولت القوات العثمانية على كل

فيما يتعلق بالجانب العسكري والسياسي، عرف باسم(أحمد باشا بونفال) بعد إسلامه (الرديني، 2014، ص215-216).

(13) بمعنى سلاح المدفعية قاذفي القنابل وخمبره (قمبرة) كلمة فارسية بمعنى مدفع صغير أشبه بمدافع الهاون (مصطفى، 1982، ص162)، وللتفاصيل عن أوجاق الخمبرجية (أغلي، 1999، ص395-407).

(14) كوريجان وأحيانا ترد توريجان مدينة إيرانية تقع الشمال الشرقي من همدان ومن أعمالها (البغدادي، 2003، ص314؛ طقوس، 2008، ص273).

من همدان[15] في 18 أيلول 1731م وتبريز في 15 تشرين الثاني 1731م(أوزتونا، 1988،ص612)، لقد مني الجيش الإيراني بهزيمة قاسية لذا اضطر الشاه إلى قبول الصلح والدخول في مفاوضات انتهت بعقد اتفاقية في 10 كانون الثاني1732م بموجبها تنازل الشاه عن العديد من الأراضي والمدن الإيرانية لصالح العثمانيين (طقوس، 2008، ص273؛ عبدالله، 2014، ص315)، ولكن هذا الاتفاق لم ير النور ولم يكتب له النجاح؛ بسبب الانقلاب السياسي الذي حدث في إيران ، وازدياد شوكة نادر خان قولي[16] والمعروف في المصادر والوثائق بـ(نادر شاه) الذي تمكن من الاستحواذ على الحكم، وعارض الاتفاقية بشدة كونه القائد الأعلى للجيوش الايرانية آنذاك، وفي هذا الصدد اشار المؤرخ العثماني مصطفى نوري باشا الى ذلك قائلا: "لقد **طعن علنا بالصلح بأبشع وأشنع الأوصاف فسار مسرعا بجيوشه إلى مدينة أصفهان وعزل الشاه** [17] **وولى ابنه القاصر البالغ من العمر أربعين يوما، ونصب نفسه وصيا عليه (وكيل الشاه)**" (نوري باشا،1327هـ، ص33؛ الاعظمي، 1927، ص111؛ النبهاني، 1342هـ، ص284-285) .

واشارت بعض المصادر إلى أن نادر شاه لم يعلن نفسه شاها على ايران؛ خشية اتهامه باغتصاب الحكم من الوريث الشرعي لإيران طهماسب ميرزا؛ لأن الأفكار في تلك المرحلة الزمنية لم تكن مستعدة لقبول مثل هكذا تغيير، لذا أمر بتتويج الطفل الرضيع الذي عرف باسم الشاه عباس ميرزا الثالث في 4 أيلول 1732م (الجاف، 2008، ص92).

وأحكم نادر شاه قولي قبضته على السلطة في بلاد ايران وأعلن عدم اعترافه بالصلح مع العثمانيين ، ولم يقف عند هذا الحد بل حاول التوسع على حساب الأراضي العثمانية، وقد بعث نادر شاه برسالة إنذار إلى والي بغداد أحمد باشا متوعدا اياه بالزحف نحو بغداد للسيطرة عليها

(15) همدان: مدينة إيرانية تقع غرب البلاد واحيانا ترد في مصادر أخرى همذان (أرسلان، 2001، ص246).

(16) **نادر خان قولي:** ولد بمدينة دستكرد (كبكان) سنة 1688م بإقليم خراسان من عائلة فقيرة ينتمي إلى عشيرة أفشار التركمانية (قرخلو – قر قلو) والده (أمام قلي) ، امتهن في صباه الرعي ، ووقع في اسر الأوزبك، وبعد اربع سنوات هرب وعاد إلى عشيرته ، ابدى شجاعة في المنازعات والغارات العشائرية، ثم التحق بخدمة حاكم أبيورد بابا علي بك وتخلص من الأخير فأصبح حاكم أبيورد وتطلع إلى حكم خراسان إلا أنه اخفق في ذلك لذا تحول إلى قاطع طريق مهددا أمن المنطقة، ثم دخل في خدمة الشاه طهماسب ولشجاعته وبطشه الشديد ولخدماته الجليلة كافأه الشاه وأنعم عليه بلقب نادر شاه قولي (عبد شاه طهماسب) ثم نصب نفسه شاها على العرش الإيراني في 8 أذار 1736م (باشا، 1327هـ، ص144؛ مؤلف مجهول، 2010، ص24؛ الجاف، 2008، ص87).

(17) بأمر من نادر شاه أرسل الشاه طهماسب مع حاشيته مخفورا إلى مدينة مشهد (الجاف، 2008، ص92).

وخاطبه قائلا " **ليكن معلوما لديكم ، يا باشا بغداد ، أننا سائرون حالا على رأس جيشنا لنتنسم هواء سهول بغداد العليل ، ولنستريح في ظل أسوارها**", لذا أمر والي بغداد بتحصين المواقع الحدودية في درنة ومندلي وبدرة وعزز حاميته في زهاب وقصر شيرين، وأخبر الباب العالي بسرعة دنو الخطر الإيراني بوساطة مبعوثه عثمان أغا الجوقدار(نورس، 1979، ص97) ، وفي هذا الصدد اشار المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي قائلا: " **وفي هذه الأثناء شرعت الدولة العثمانية بجمع بعض الوحدات والقوات من هنا وهناك إلى جهة العراق بقيادة الوزراء قره مصطفى باشا وجمال زاده احمد علي باشا وحكيم زاده علي باشا**" (الكركوكلي، (د.ت)، ص29).

واقترب نادر شاه من الحدود العراقية بقواته التي تقدر بـ(100.000) مقاتل وأمر بمهاجمة المواقع التي قام بتعزيزها والي بغداد وتمكن من إحكام سيطرته على زهاب ليلا في غارة مفاجئة، ثم توغل في الأراضي العراقية ، واندفع صوب بغداد بقوة من ثلاثة محاور بعد أن قسم جيشه على ثلاثة أقسام ، قسم توجه الى محور درنة – شهرزور والثاني محور الموصل والقسم الثالث بإمرته سالكا تجاه بغداد (صباغ، 1999، ص216–217) ، إلا أنه بدلا من أن يتجه صوب بغداد تظاهر بأنه زاحف تجاه كركوك على أمل أن يخدع والي بغداد بهدف استدراجه وترك مواقعه في بغداد والخروج لملاقاته ، وبالقرب من (طوز خورماتو) توقف نادر شاه ويبدو أنه اخفق في استدراج والي احمد باشا خارج أسوار بغداد لذا واصل تقدمه باتجاه بغداد، ثم تقدم صوب مدينة بغداد (نوري باشا،1327هـ، ص33؛ الاعظمي، 1927، ص111؛ النبهاني، 1342هـ، ص284–285)، حتى بلغ الأعظمية واتخذ له مواقع للقتال وحاصرها (الكركوكلي، (د.ت)، ص29)' من 11 كانون الثاني 1733 م لغاية 19 تموز1733م ثم بدأت قواته بقصف أسوار بغداد بالمدافع ولكن دون جدوى (غرابية، 1960، ص120)[18]، وكان الرد بالمدافع عنيفا من قبل قوات أحمد باشا ولما وجد نادر شاه أن قواته في مرمى المدافع العثمانية إنسحب مسيرة نصف ساعة، عندئذ أرسل أحمد باشا قوة كبيرة إلى الجانب الثاني لنهر دجلة لمنع العدو من الاقتراب (الكركوكلي، (د.ت)، ص29).

لقد ساءت أحوال بغداد بسبب الحصار وقلة الأقوات وبدأت المجاعة ولكن المدافعين صمدوا، فاستنجد والي بغداد بالسلطان محمود الأول فأوعز الأخير إلى الصدر الأسبق طوبال عثمان باشا بقيادة الجيش العثماني الذي ضم قوات من الأناضول ومصر والعراق لمواجهة الخطر الإيراني

(18) يذكر أن الحصار على بغداد كان قاس دام سبعة اشهر وثمانية أيام، ولولا صمود سكان بغداد المدافعين عنها وحنكة احمد باشا العسكرية وشجاعته الفائقة لوقعت بغداد في قبضة نادر شاه (علي، 1984، ص186؛ اوزتونا، 1988، ص612)).

القادم من الشرق ، وفك الحصار وإنقاذ بغداد (توفيق، 1305هـ، ص260)، ولم يتردد طوبال باشا في تنفيذ أوامر السلطان سنة 1733م، على الرغم من مرضه (BOA, 1283AH, MD139, doc.327)، وقاد الحملة وهو على محفته (Cebeci, (n.d), s.77) كقائد عام للجيش العثماني في بلاد فارس(**سر عسكر أقاليم الشرق**) (BOA, 1283AH, MD139, doc.398) مع منحه صلاحيات واسعة لصد التهديدات الإيرانية[19] ولاسيما تهديد نادر شاه بغداد، فتجمعت تحت لواء طوبال باشا قوات ضخمة اختلفت المصادر التاريخية في تحديد أعدادها والتي سلكت طريق ديار بكر– الموصل– كركوك (علي، 1984، ص187؛ لونكريك، 1985، ص174).

وهناك تباين في تقدير عدد القوات العثمانية إذ قدرت ما بين (100.000) عسكر إلى (170.000) عسكر من المشاة والخيالة (اوتزونا، 1988، ص612؛ أوغلو، 1958، ص115) واستغرق زحفه قرابة ستة اشهر (لونكريك، 1985، ص174). وربما يعود السبب في تأخر وصول طلائع الجيش العثماني لإنقاذ بغداد من حصار القوات الإيرانية إلى جهله بالموقف الحرج وما تعانيه الأهالي في بغداد من حالة اليأس وانقطاع الأمل[20]؛ وفي هذا الصدد بغية إحباط معنويات المدافعين ورد كتاب من مفتي الجيوش الإيرانية إلى علماء وخطباء بغداد قائلا لهم: "**إننا علمنا ما وصلت إليه الحالة بكم، وعلمنا أنكم تنقصكم الأقوات والعساكر والعتاد وأن الناس قد أهلكتهم المجاعة فأنتم وحدكم المسؤولون عنهم عند الله قولوا لأحمد باشا أن لا يلقي الناس إلى التهلكة عبثا، وأن يستسلم فإن ذلك أولى له من الدمار التام**" (الكركوكلي، (د.ت)، ص31). ومن كركوك بعث عثمان باشا رسالة إلى أحمد باشا يخبره بأنه قادم لنجدتهم، وعندما قرأ أحمد باشا الرسالة لم يصدقه العسكر حتى اضطر إلى عرض توقيع وختم القائد طوبال عثمان باشا (علي، 1984، ص187)، فاشتدت العزائم واستمات الأهالي المحاصرون في الدفاع عن مدينتهم (نورس، حملة نادر شاه، 1979، ص99).

وتأكد نادر شاه من صحة اقتراب القوات العثمانية؛ لذا أصدر أوامره بتشديد الحصار على بغداد، واستمرار قصفها بالمدافع (الكركوكلي، (د.ت)، ص33)، وبعث كتابا إلى عثمان باشا في

(19) من ضمن الصلاحيات الكبرى هي تفويض السلطان العثماني لـ طوبال عثمان باشا استعمال موارد الإيالات الشرقية كافة لخدمة جيشه الزاحف نحو بغداد (الجميل، 1990، ص110).

(20) أخذت ويلات الحصار والمجاعة على مدينة بغداد، تأخذ شكلا مروعا ووصلت الحال ببعض الأهالي إلى أكل لحوم البغال والحمير والكلاب.. وتولدت أمراض لديهم وانتشرت الأوبئة، إلا أنهم صبروا وعقد الأهالي والعساكر العزم على المقاومة وعدم الاستسلام (العمري، 1971، ص84؛ المحامي، د.ت، ص277؛ الجاف، 2008، ص94).

كركوك كان بمثابة رسالة تهديد من خصمه نادر شاه تمنى له الأخير" **رحله سريعة نحو حتفه، وهدده بالقبض عليه كما يقبض على الطفل في مهده**" (لونكريك، 1985، ص178)، وأرسل أيضا نادر شاه رسالة أخرى لـ طوبال باشا لا تختلف كثيرا عن الأولى (عبدالله، 2014، ص318).

ووصلت القوات العثمانية الى مشارف مدينة سامراء وتلقى طوبال باشا رسالة مفادها بأن نادر شاه على استعداد لملاقاته في أي وقت ومكان يختاره هو، ثم زحف نادر شاه على رأس قوة مؤلفة من خمسين ألف جندي لمباغتة القوات العثمانية القادمة والقضاء عليها قبيل وصولها الى مشارف بغداد وإنقاذها من حصار القوات الإيرانية تاركا(12000) مقاتل من قواته لمواصلة حصار بغداد (الجاف، 2008، ص94؛ نورس، حملة نادر شاه، 1979، ص99).

وعمد طوبال باشا على تتبع تحركات قوات نادر شاه عن كثب بوساطة عيونه وجواسيسه فأسرع إلى السيطرة على موارد الماء في دجلة والتمركز حولها بانتظار خصمه القادم (عبدالله، 2014، ص319)، والتقى الجيشان في 19تموز 1733م من يوم الأحد في معركة حامية الوطيس عند موقعة دوجوم (Ducum) (Ateş, 2001,s.63)، في قرية الدجيل بالقرب من مدينة بلد على ضفاف نهر دجلة التي تبعد ما يقرب من(62كم) شمال بغداد واستمرت تسع ساعات متواصلة(نورس، 1979، ص100).

وحقق نادر شاه في بداية المعركة انتصارا على الجيش العثماني الذي بدأ يتقهقر ويتراجع إلى الخلف، ومما زاد من تأزيم الموقف إنسحاب الزعماء الأكراد من المعركة فأصبح الجناح الأيمن للجيش العثماني مكشوفا للجيش الإيراني(عبدالله، 2014، ص319)، عندئذ اضطر طوبال باشا إلى زج قوات الاحتياط البالغ عددهم (20000) مقاتل في ساحة المعركة مما أربك قوات نادر شاه وافقدها نظامها، وبدأ الموقف يميل لصالح العثمانيين، ناهيك عن ذلك كان الجيش الإيراني يقاتل في حالة عطش شديد؛ بسبب تحكم الجيش العثماني على مجريات المعركة لاستغلاله ظروف الأرض والطبيعة وموارد المياه (صباغ، 1999، ص217)، ورجحت كفة النصر لصالح العثمانيين وتكبدت القوات الإيرانية خسائر فادحة تقدر بـ(30000) قتيل و(3000) أسير (الجاف، 2008، ص94)، وقد ورد في احد المصادر أن خسائر الجيش الإيراني (40000قتيل و300 أسير) (Valiyev, 2014, s.120)، في حين تكبدت القوات العثمانية قرابة(20000) قتيل (Poroy, 2016, s.140) وأجبر نادر شاه على الفرار مدحورا نحو مدينة همدان في بلاد ايران بعد أن أصيب بجروح (نوري باشا، 1343هـ، ص33؛ سعيد، 2015، ص17). واشارت بعض المصادر إلى أن نادر شاه وقع عن صهوة جواده أكثر من مرة وأعطاه أحد الجنود في اثناء

فراره فرسه الخاص وهرب لواؤه من ساحة القتال؛ لاعتقاده أن نادر شاه قد قتل، وفقد الجيش الإيراني مدافعه وذخائره وانسحب من المعركة بشكل غير منتظم إلى بلدة بهروز ثم إلى مندلي وأخيرا استقر نادر شاه في همدان، متخذا منها قاعدة للانطلاق ضد العثمانيين من جديد (الجاف، 2008، ص94؛ عبدالله، 2014، ص319) كما سنرى ذلك لاحقا.

وما أن سمع والي بغداد المحاصر بانتصار طوبال باشا على خصمه ، حتى شن هجوما على القوات الإيرانية المحاصرة لبغداد فقتل العديد منهم وفر الباقون (العمري، 1979، ص85؛ عبدالله، 2014، ص319)، ودخلت القوات العثمانية المنتصرة بغداد بعظمة وشوكة(أوغلو، 2015، ص173)، في حين اشارت مصادر أخرى إلى أن طوبال باشا دخل بغداد بكل تواضع من دون أبهة وحاشية، واستقبله الأهالي بكل حفاوة وترحيب(عبدالله، 2014، ص319)[21]، فرحين بالنصر وزوال الخطر الإيراني (العزاوي، د.ت، ص280)، وتأسيسا على ذلك منح السلطان محمود الأول لطوبال عثمان باشا لقب(الغازي)[22] وشهدت مدينة استانبول احتفالات بالنصر دامت ثلاثة أيام بلياليها (اوتزونا، 1988، ص613).

ثالثا: معركة ليلان 1733م

في أعقاب هزيمة نادر شاه أمام طوبال عثمان باشا بالقرب من بغداد كان من الطبيعي أن يوثر على سمعته كقائد عسكري محنك ويفقد شعبيته التي يتمتع بها بين الإيرانيين ولاسيما بعد أن حقق عدة انتصارات على الأفغان وحرر أجزاء شاسعة من أراضي البلاد، إلا أن نادر شاه عمل بكل ما في وسعه على إعطاء صفة شرعية لهزيمته على أنها (مشيئة الله) لابد منها، ودفع 10 تومانات (عملة ايرانية) لكل مقاتل فقد حصانه في المعركة (عبدالله، 2014، ص319).

وعمل نادر شاه بكل ما أوتي من قوة على إعادة تنظيم جيشه لاستئناف القتال ضد العثمانيين، متخذا من مدينة همدان مركزا لإعادة تشكيل جيشه، ولم تمض أسابيع قليلة حتى تمكن من تجهيز جيشه بالأسلحة والمعدات بشكل يفوق جيشه السابق عددا وعدة، ولاسيما بعد أن

(21) وفي هذا الصدد وصف أحد المؤرخين مشهد الترحيب فقال: **"وصل الفاتح العظيم، ذو البأس الشديد طوبال عثمان مع جيشه إلى بلد الإمام الأعظم، فتوافد عليه الأهلون من جميع الطبقات شيبا وشبانا يقبلون أقدامه ويمسحون عنها الغبار"** (لونكريك، 1985، ص177)..

(22) **الغازي:** كلمة عربية تأتي بمعنى مجاهد، مقاتل في سبيل الله أطلق على الشخص الذي يقوم بقيادة قطعات عسكرية في أرض العدو بهدف إدخال هذه الأرض إلى الممالك الإسلامية، وكان السلطان محمد الفاتح (1451-1481م) من بين السلاطين العثمانيين الذي يحمل هذا اللقب ثم أطلق على كل سلطان يقود حملة خارج العاصمة العثمانية. (سامي، 1317هـ، ص960).

تتابعت عليه القطعات من كل ولاية إيرانية، وكان استرداد نادر شاه لقواه في مدة وجيزة دليل واضح على عظمته وحنكته (لونكريك، 1985، ص178).

وعلم نادر شاه بوساطة جواسيسه أن بغداد تعاني من القحط والجوع (أوغلو، 2015، ص174)، وأن عثمان باشا قد سرح أعدادا كبيرة من جيوشه الأجيرة إلى ولاياتها ومدنها العربية والكردية ، ولم يبق بمعيته إلا القليل اعتقادا منه بأن الجيوش الإيرانية لا يمكن أن تقوم لها قائمة بعد الهزيمة النكراء التي منيت بها أمام الجيش العثماني (لونكريك، 1985، ص177؛ عبدالله، 2014، ص320)؛ لذا أوعز إلى قادته بالانسحاب من معسكره قرب بغداد والعودة إلى أماكنهم الأصلية، فضلا عن تعذر والي بغداد من تموين جيشه طالبا منه المغادرة، ولم يكن بوسع طوبال باشا تموين جيشه بالأرزاق والتجهيزات، ولاسيما أن بغداد أصابها قحط شديد (نورس، العراق في...، 1979، ص166).

وطلب القائد العثماني طوبال باشا في كتبه ورسائله العديدة من الديوان السلطاني في إستانبول إمداده بجميع أنواع النجدة والتجهيزات ولكنه لم يتلق جوابا من الحكومة العثمانية ويعود ذلك الى الانتصار العظيم الذي حققه في بغداد على خصمه نادر شاه الامر الذي جعله ضحية المكائد والمؤامرات في الباب العالي في إستانبول (نورس، العراق في...، 1979، ص166). ولاسيما من قبل حساده ومنافسيه (أوغلو، 2015، ص176). لذلك

واضطر القائد العثماني الى الاعتماد على قدراته الذاتية وحصن معسكره في قلعة كركوك (Defteri Hakanî Dizisi) (Başkanlık Devlet Arşivleri, 2003, p.64)، وتمكن من جمع قطعات صغيرة من المقاتلين في الولايات المجاورة من الشام والموصل وديار بكر، ومن شيوخ العرب (لونكريك، 1985، ص178).

واغتنم نادر شاه الفرصة وزحف من همدان في 2 تشرين الأول 1733م متوجها نحو العراق، وقد تصدت له قرب زهاب قوات عثمانية قوامها(20000) مقاتل بقيادة ممش باشا (Memiş Paşa) إلا أنه تمكن من إلحاق الهزيمة بهم ؛ لذا واصل نادر شاه تقدمه صوب كركوك قاطعا مسافة كبيرة لملاقاة خصمه هناك (أوغلو، 2015، ص174؛ عبدالله، 2014، ص319).

وكانت الشائعات التي تصل معسكر الجيش العثماني لم تبخس قوات نادر شاه حقها من حيث القوة والعظمة ولم تستهن في تعدادها، عندئذ اتخذ طوبال باشا عدة إجراءات احترازية منها: إرسال پولات باشا (Pulat Paşa) على رأس قوة من (6000) مقاتل لصد العدو، في محاولة منه لعرقلة تقدم القوات الإيرانية، إلا أن بولات باشا أخفق في مهمته واضطر إلى الانسحاب، عندئذ أمر عثمان باشا بتحصين معسكره وإرسال القطعات الصغيرة من جيشه لضرب العدو من

دون الدخول في صدام مباشر فحقق نجاحا في بعض المناطق . إلا أن ذلك لم يمنع تقدم قوات نادر شاه تجاه كركوك (لونكريك، 1985، ص178).

وكان بإمكان القائد العثماني الغازي طوبال عثمان باشا العودة إلى إستانبول ولاسيما في أعقاب انتصاره على خصمة نادر شاه قولي وإنقاذه لبغداد من الهلاك، إلا أنه فضل البقاء والتحصن في قلعة كركوك واتخاذها مقرا من دون العودة إلى استانبول (Mızrab, 2020, s.76).

وتبين لنا في هذه الدراسة أن هنالك عدة أسباب كانت تقف حائلا أمام عودته الى استانبول ، منها: حالته الصحية المتدهورة إذ كان لا يقوى على ركوب جواده ، وقد قاد الحملة منذ البداية وهو على محفته كما ذكرنا ، وأنه اضطر إلى تسريح غالب عساكره الأجيرة؛ بسبب النقص في المؤن والتجهيزات فضلا عن حلول فصل الشتاء، ناهيك عن محاولاته الحثيثة للحصول على إمدادات لجيشه من طرف الحكومة المركزية في استانبول، إلا أنه أخفق في مساعيه ولم يحصل على أي دعم وتموين، فاضطر الى البقاء والتحصن في قلعة كركوك المنيعة.

ولم يكن أمام طوبال عثمان باشا سوى خوض غمار معركة غير متكافئة، فالتقى الجيشان العثماني والإيراني في سهل ليلان[23]جنوب شرق كركوك بين الجبال الواطئة الممتدة إلى نهر داقوق (داقوق صو) (لونكريك، 1985، ص178)[24]، أي: على مسيرة خمس ساعات من كركوك في26 تشرين الأول 1733م ، وفي بداية المعركة أحرز العثمانيون بعض الانتصارات، غير أن توغل الخيالة الفرس في عمق قطعات الجيش العثماني لم يكن يترك للقائد العثماني مجالا للتحرك والمناورة وتنظيم صفوف قواته وهو ملازم لفراش المرض في مقر القيادة ، وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة اضطر إلى ترك مقره وامتطى صهوة جواده (لونكريك، 1985، ص178)[25]، ونزل إلى ميدان المعركة لمواجهة الأعداء وقاتل ببسالة وأوقع خسائر فادحة في

(23) **ليلان:** الآن مركز ناحية (قرة حسن) تابعة لمركز قضاء كركوك. تبعد مسافة 19 كم الى جنوب شرق مدينة كركوك، كانت ليلان قديما مركزا للاستيطان، وتخترق القصبة ساقية تسمى بـ(أوزون كول) وتقسم الساقية القصبة الى شطرين هما: يوخارى محلة (المحلة العليا) واشاغى محلة (المحلة السفلى) (ساعتجي، 2010، ص135).

(24) يذكر أنه يمر نهر داقوق بالقرب من قصبة داقوق التي تقع على بعد 40 كم عن كركوك وتشير الدراسات التاريخية إلى أن أصول أهلها من قبائل الترك القرة قوينلو وأن التركمان استوطنوا فيها في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (الصمانجي، 1999، ص91).

(25) وفي هذا الصدد ذكرت بعض المصادر: **" كان القائد العثماني طوبال عثمان باشا سر عسكر أقاليم شرق الإمبراطورية يقاتل ببسالة نادرة ممتطيا جواده الأبلق الرشيق ، وقد أوقع خسائر فادحة بالأعداء .. وفي لحظات حاسمة خر صريعا على أرض المعركة.. " (الجميل، 1990، ص112).**

صفوف الأعداء حتى سقط صريعا على أرض المعركة [26] فحز أحد الجنود الفرس رأسه وفصله عن جسده، وجئ بجثة طوبال عثمان باشا إلى نادر شاه "**الذي وقف صامتا مدة من الزمن وهو *يتأملها بخشوع*** " (لونكريك، 1985، ص179) والجدير بالذكر أنه تأثر كثيرا لفصل رأس القائد العثماني عن جسده ، فأمر بإعادة الرأس إلى الجثة (علي، 1984، ص191)، ودفن قرب مسجد الإمام قاسم في مدينة كركوك[27] وباستشهاد القائد العثماني خسرت الدولة العثمانية قائدا بطلا ووزيرا مخلصا واستسلم من بقي من القوات العثمانية لقوات نادر شاه (أرسلان، 2001، ص246؛ أوغلو، 2015، ص175)، وما أن تمكن نادر شاه من دحر القوات العثمانية في كركوك حتى تركها واتجه نحو بغداد وحاصرها من جديد ، ولكنه اضطر إلى فك الحصار بسبب ثورة البلوج او البلوش في بلاده ، بعد أن توصل مع والي بغداد أحمد باشا إلى عقد صلح ينهي حالة الحرب بينهما فوافق والي بغداد من دون تردد (صباغ، 1999، 217-218).

(26) **تكبد الجيش خسائر كبيرة قدرت بما يقرب من (20000) ألف بين قتيل وأسير** (Valiyev, 2014, s.120).

(27) هناك تباين في ذكر موضع دفن جثة القائد العثماني، إذ تشير أحد المصادر إلى أن نادر شاه أمر بإرسال جثة طوبال باشا إلى بغداد برفقة أحد الأسرى العثمانيين وتشير بعض المصادر إلى أنه دفن في شهرزور (البغدادي، 2003، ص361). في حين تشير مصادر أخرى إلى أن القاضي عبد الكريم افندي ، قاضي أذربيجان عهد إليه بنقل الجثمان إلى بغداد إلا أن الأخير لم يأخذه إلى بغداد وإنما دفنه في كركوك ، ومما يدل على ذلك وجود قبر الشهيد سر عسكر طوبال باشا في المقبرة الخاصة بجوار جامع الإمام قاسم في مكان خاص تحت قبة كبيرة باقية حتى الآن (أوغلو، 2015، ص175) ؛ لذا ارتأينا بتاريخ 20 نيسان 2022 من يوم الاربعاء للقيام بزيارة ميدانية لموضع ضريح السر عسكر طوبال عثمان باشا في المقبرة الخاصة بجوار جامع الإمام قاسم بمدينة كركوك فوجدنا القبر قد نقش عليه **"المغفور الشهيد سر عسكر عثمان باشا"** وورد ذكر تاريخ استشهاده سنة (١١٤٦) بالأرقام الفارسية وبالتقويم الهجري ويصادف بالتاريخ الميلادي 1733 م . وأن قبة الضريح آيلة للسقوط وبحاجة إلى الترميم.

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

الخاتمــة:

تبين لي من الدراسة أن عثمان باشا الملقب بـ (طوبال = الاعرج) كان أحد أبرز الشخصيات الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر، تسنم مناصب إدارية وعسكرية مهمة في الدولة، ونظرا لشجاعته وإخلاصه تم تكليفه بعدة واجبات ووظائف، فمن خدمات القصر الى المشاركة في قيادة الحملات العسكرية وضبط الأمن في شبه جزيرة الموره، ثم قائدا عاما للجيش العثماني في الموره في 1717م، وفي الجانب الإداري تقلد حكم عدة ولايات عثمانية مثل: ولاية البوسنة في 1719م وبعد سنتين عين حاكما على الروم ايلي.

واثبت طوبال عثمان باشا حسن إدارته وكفاءته ومقدرته في أداء المهام الموكل إليه، ولاسيما دوره في تعزيز السلطة العثمانية في البلقان وضبط الأمن في تلك الانحاء، فلمع نجمه وبرز كرجل دولة حتى نال ثقة السلطان محمود الأول عندما كلفه لتولي منصب الصدر الأعظم في 10 أيلول 1731م وبقي في منصبه زهاء الستة، عمل على تحسين القدرات الدفاعية للدولة في الجبهة الاوربية، وادخل النظم الأوربية الحديثة لتطوير قدرات الجيش العثماني.

وعزل طوبال عثمان باشا عن منصب الصدارة العظمى سنة 1732م وعهد اليه حكم عدة ولايات في شرقي الأناضول مثل: طرابزون وأرضروم وتفليس وأخيرا قيادة الحملة العثمانية لإنقاذ بغداد من التهديدات الإيرانية الفارسية، ولاسيما في أعقاب تولي نادر شاه زمام الأمور في بلاد إيران ونقضه للصلح المبرم بين الطرفين، وقاد الأخير القوات الإيرانية لاحتلال بغداد، فحاصرها في تموز 1733م.

وكلف السلطان محمود الأول طوبال عثمان باشا بقيادة القوات العثمانية لطرد الصفويين من العراق، وفي المعركة التي وقعت بين الطرفين في منطقة الدجيل في 19تموز1733م اندحرت قوات نادر شاه فاضطر الى الفرار والانسحاب ببقية قواته الى الأراضي الإيرانية، ودخل عثمان باشا الى بغداد وسط استقبال شعبي مهيب؛ تقديرا لجهوده في إنقاذ بغداد، ومنحه السلطان لقب (الغازي).

إلا أن الصراع العثماني – الصفوي لم ينته عند هذه المعركة إذ عاود نادر شاه الكرة مجددا بعد إعادة تنظيم قواته في غضون أسابيع قليلة لغسل العار الذي لحق به في المعركة الأخيرة . وفي المقابل اعتقد القائد العثماني أن القوات الإيرانية لن تعيد الكرة خلال مدة قصيرة ، فأوعز الى قادة الوحدات المساندة بالتفرق والعودة الى مناطقها الاصلية ، فضلا عن اعتذار والي بغداد عن تموين جيشه؛ بسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها بغداد وعدم وصول المساعدات اليه من استانبول فاضطر الى أن يعسكر في حصن كركوك ، وكان موقفه العسكري غير مهيأ للدخول

في مواجهة جديدة مع نادر شاه . وفي ظل هذه الظروف اجتاز نادر شاه بقواته الحدود العراقية في 2 تشرين الأول 1733م واتجه نحو كركوك ، واضطر عثمان باشا الى خوض معركة غير متكافئة ، فالتقى الجيشان في سهل ليلان قرب كركوك في 26 تشرين الأول 1733م، وعلى الرغم من تدهور صحته إلا أنه نزل الى ميدان المعركة وقاتل ببسالة حتى سقط صريعا على ارض المعركة، وبعد انتهائها تم دفن القائد العثماني في منطقة الإمام قاسم احدى ضواحي مدينة كركوك ، وبذلك خسرت الدولة العثمانية قائدا شهما ومخلصا لم يبخل في الدفاع عنها حتى في حالات المرض وقلة المؤن والتجهيزات، ولم يلجأ الى الفرار من أرض المعركة او التخلي عن القيادة كما يحصل مع بعض القادة .

قائمة المصـادر والمراجع:

References:

أولا: الوثائق غير المنشورة:

1. BOA. (1283AH). Mühimme Defteri (Voi139, doc327). Istanbul.
2. BOA. (1283AH). Mühimme Defteri (Voi139, doc398). Istanbul

ثانيا: المصادر العربية والمعربة:

1. أفندي، دلاور زادة عمر. (1271هـ). ذيل حديقة الوزراء. إستانبول: مطبعة جريدة الحوادث.
2. أوزتونا، يلماز. (1988). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة: عدنان محمود سلمان. مراجعة وتحقيق: محمود الأنصاري.ج1. إستانبول: منشورات مؤسسة فيصل.
3. أوغلى ، أكمل الدين إحسان. (2004). الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب: صالح سعداوي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية(أرسيكا). مج1. (إستانبول:1999م). الرياض: مكتبة العبيكان.
4. بآموك، شوكت. (2005). التاريخ المالي للدولة العثمانية. تعريب: عبد اللطيف الحارس. دار المدار الإسلامي. بيروت.
5. البياتي، وليد خالد خضر خلف. (2009). منصب الصدر الأعظم واثره في نظام الحكم العثماني حتى عهد التنظيمات. جامعة تكريت، كلية التربية: رسالة ماجستير غير منشورة.
6. الهرمزي، أرشد. (2010). د.ت: مؤسسة وقف كركوك للثقافة والابحاث.
7. توفيق ، محمد. (1305هـ). تاريخ عثمانى. قسطنطينية (استانبول): مطبعة أبو ضيا.
8. الجاف، حسن كريم. (2008). موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية . مج 3. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
9. الجميل ، سيار كوكب علي. (1990). حصار الموصل الصراع الإقليمي واندحار نادر شاه صفحة لامعة في تكوين العراق الحديث. الموصل: مطبعة بيت الموصل.
10. حسان حلاق. (1999). عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية. بيروت: دار العلم للملايين.
11. الخوري، أمين. (1894). قاموس رفيق العثماني. بيروت: مطبعة الآداب.
12. الرديني، يوسف عبد الكريم طه مكي. (2014). المؤسسة العسكرية العثمانية 1299–1839م دراسة تاريخية. عمان: دار حامد للنشر والتوزيع.
13. موستراس، س. (2002). *المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية*، ترجمة: عصام محمد الشحادات. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر.
14. سامي، شمس الدين. (1311هـ). قاموس الأعلام. ج4. إستانبول: مهران مطبعه سي.
15. سامي، شمس الدين. (1317هـ). قاموس تركي. إستانبول: إقدام مطبعه سى باب العالي.
16. سعيد، إبراهيم خليل. (2015). كركوك بانوراما التاريخ والإنسان. ج2. كركوك: شركة الفضولي للطباعة.
17. السويدان، حسن السماحي. (2001). دمشق: دار ابن كثير.

18. الشناوي ، عبد العزيز محمد. (2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. ج2. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
19. صباغ، عباس إسماعيل. (1999). تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين. بيروت: دار النفائس.
20. الصمانجى ، عزيز قادر. (1999). التاريخ السياسي لتركمان العراق. بيروت: دار الساقي.
21. عبد الله، ايناس سعدي. (2014). تاريخ العراق الحديث. بغداد: دار عدنان للطباعة.
22. علي، علي شاكر. (1984). تاريخ العراق في العهد العثماني 1638–1750م دراسة في أحواله السياسية. ط1. الموصل: منشورات مكتبة 30 تموز.
23. العمري، ياسين. (1971). تاريخ محاسن بغداد وتهذيب غاية المرام. تهذيب وتحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني البغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية.
24. غرابيه، عبدالكريم محمود. (1960). مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500–1918. ج1. دمشق: مطبعة جامعة دمشق.
25. كامل باشا. (1327هـ). تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية. إستانبول: مطبعة أحمد إحسان.
26. الكركوكلي، رسول حاوي. (د.ت). دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء. ترجمة: موسى كاظم نورس. بيروت: دار الكاتب العربي.
27. لونكريك، ستيفن. (1985). هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر الخياط. ط6. بغداد: مطبعة أركان.
28. ليلاني، نجم الدين عبد الستار صادق. (2009). البحرية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني 1520–1566م. جامعة تكريت، كلية التربية: رسالة ماجستير غير منشورة.
29. مؤلف مجهول. (2010). روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار. تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف. السليمانية: مطبعة شفان.
30. مانتران، روبير وآخرون. (1993). تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة: بشير السباعي. ج1. القاهرة: دار الفكر للدراسات.
31. العزاوي المحامي، عباس. (د.ت). موسوعة تاريخ العراق بين الاحتلالين. بيروت مكتبة الحضارات.
32. المحامي، محمد فريد بك. (1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية. تحقيق إحسان حقي. بيروت: دار النفائس.
33. أوغلو، نجاة كوثر. (2015). صفحات من تاريخ كركوك منذ فجر التاريخ إلى 1958. لندن: دار الحكمة.
34. نورس، علاء موسى كاظم. (1979). حملة نادر شاه على بغداد. بغداد: مجلة المورد. مج 8، ع4.
35. نورس، علاء موسى كاظم. (1979). العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700–1800م ، سلسلة دراسات. بغداد.
36. نوري باشا، مصطفى. (1327هـ). نتائج الوقوعات، المجلد ثالث، طبعه ثانيه. إستانبول: أخوت مطبعه سى.

37. الأعظمي، علي ظريف. (1927). تاريخ الدول الفارسية في العراق. بغداد: مطبعة الفرات.
38. النبهاني، محمد خليفة بن حمد بن موسى. (1342هـ). التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية. ط2. مصر: المطبعة المحمودية.
39. هاملتون، جب وهارلود بوون. (1971). المجتمع الإسلامي والغرب. ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى. ج2. القاهرة: دار المعارف.

ثالثا: المصادر الأجنبية:

1. Poroy, A.Akif. (2016). Sadrazam Topal Osman Paşa 1663-1733. İstanbul.
2. Ateş, Abdurrrahman. (2001). Avşarli Nadir Şah ve Döneminde Osmanli İran Mücadelelri. (Süleyman Demirel Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Doktora Tezi), Isparta.
3. Özcan, Abdülkadir. (2012). "Topal Osman Paşa", *TDV İslam Ansiklopedisi*, XLI. İstanbul.
4. Başkanlık Devlet Arşivleri Genel, Müdürlüğü Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı. (2003). *111 numaralı Kerkük Livası Mufassal Tahrir Defteri(Kanuni Devri)*, Dizin, Transkripsiyon ve Tıpkıbasım, Yayın Nu: 64 Defteri Hakanî Dizisi: VIII. Ankara.
5. Enver, Cebeci. (2015). Topal Osman Paşa ve Osmanlı-İran Savaşlarindaki Rolü (1664-1733), (Afyonkarahisar Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Yüksek Lisans Tezi). Afyonkarahisar.
6. Cengiz, E, Babuçoğlu, & Özdil, O.(2005). Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul. Ankara.
7. Ziya, Kazıcı. (2011). Osmanli Devleti Tarihi, Kayihan. İstanbul.
8. Uyar, M, Edward, J, & Erickson. (2009). A military History of the Ottomans. abc clio. California.
9. Shaw, S. (1976). History of the Ottoman Empire and Modern Turkey 1280-1808. Vol. I. London: London Cambridge Press.
10. Elvin, V. (2014). XVIII.Yüzyilin İlk Yarisinda Güney Kafkasya, OsmanliI, Safevi ve Rusya Kiska Cinda. (Selçuk Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Yüksek Lisans Tezi). Konya.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Effendi, Dilawarzadeh Omar. (1271 AH). The Tail of the Ministers' Garden. Istanbul: Al-Hawadeth Newspaper Press.
2. Oztuna, Yilmaz. (1988). History of the Ottoman State. Translated by Adnan Mahmoud Salman. Reviewed and Investigated by Mahmoud Al-Ansari. Vol. 1. Istanbul: Faisal Foundation Publications.
3. Oglu, Ekmeleddin Ihsan. (2004). The Ottoman State: History and Civilization. Translated by Saleh Saadawi. Research Center for Islamic History, Arts, and Culture (ARCICA). Vol. 1. (Istanbul: 1999). Riyadh: Obeikan Library.
4. Pamuk, Shawkat. (2005). Financial History of the Ottoman State. Translated by Abdul Latif Al-Haris. Dar Al-Madar Al-Islami. Beirut.

5. Al-Bayati, Walid Khaled Khadr Khalaf. (2009). The Office of the Grand Vizier and Its Impact on the Ottoman Governance System until the Tanzimat Era. Tikrit University, College of Education: Unpublished Master's Thesis.
6. Al-Harmazi, Arshad (2010). D.T.: Kirkuk Endowment Foundation for Culture and Research.
7. Tawfiq, Muhammad (1305 AH). Ottoman History. Constantinople (Istanbul): Abu Dia Press.
8. Al-Jaf, Hassan Karim (2008). Encyclopedia of the Political History of Iran from the Beginning of the Safavid State to the End of the Qajar State. Vol. 3. Beirut: Arab Encyclopedia House.
9. Al-Jamil, Sayyar Kawkab Ali (1990). The Siege of Mosul: Regional Conflict and the Defeat of Nader Shah: A Shining Page in the Formation of Modern Iraq. Mosul: Mosul House Press.
10. Hassan Hallaq (1999). Abbas Sabbagh, The Comprehensive Dictionary of Ayyubid, Mamluk, and Ottoman Terms of Arab, Persian, and Turkish Origins. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin.
11. Al-Khoury, Amin. (1894). Rafiq al-Uthmani Dictionary. Beirut: Al-Adab Press.
12. Al-Rudaini, Yousef Abdul Karim Taha Makki. (2014). The Ottoman Military Institution 1299-1839 AD: A Historical Study. Amman: Dar Hamed for Publishing and Distribution.
13. Moustras, S. (2002). Geographical Dictionary of the Ottoman Empire, translated by Issam Muhammad al-Shahadat. Beirut: Ibn Hazm Printing and Publishing House.
14. Sami, Shams al-Din. (1311 AH). Dictionary of Personalities. Vol. 4. Istanbul: Mahran Press.
15. Sami, Shams al-Din. (1317 AH). Turkish Dictionary. Istanbul: Iqdam Press, Bab al-Ali.
16. Saeed, Ibrahim Khalil. (2015). Kirkuk: A Panorama of History and Humanity. Vol. 2. Kirkuk: Al-Fuzuli Printing Company.
17. Al-Suwaidan, Hassan al-Samahi. (2001). Damascus: Dar Ibn Kathir.
18. Al-Shinawi, Abdul Aziz Muhammad. (2004). The Ottoman Empire: A Slandered Islamic State. Vol. 2. Cairo: Anglo-Egyptian Library.
19. Sabbagh, Abbas Ismail. (1999). A History of Ottoman-Iranian Relations: War and Peace between the Ottomans and the Safavids. Beirut: Dar al-Nafayes.
20. Al-Samanji, Aziz Qadir. (1999). The Political History of the Turkmen of Iraq. Beirut: Dar al-Saqi.
21. Abdullah, Inas Saadi. (2014). Modern History of Iraq. Baghdad: Adnan Printing House.
22. Ali, Ali Shaker. (1984). The History of Iraq in the Ottoman Era 1638-1750 AD: A Study of Its Political Conditions. 1st ed. Mosul: 30 July Library Publications.
23. Al-Omari, Yassin. (1971). A History of the Beauties of Baghdad and the Refinement of the Ultimate Goal. Edited and verified by: Mi'ad Sharaf al-Din al-Kilani al-Baghdadi. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
24. Ghrabiyyah, Abdul Karim Mahmoud. (1960). Introduction to Modern Arab History 1500-1918. Vol. 1. Damascus: Damascus University Press.
25. Kamil Pasha. (1327 AH). A Political History Under Ottoman Rule. Istanbul: Ahmad Ihsan Press.

Vol 12, Issue 40, May 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

26. al-Kirkukli, Rasul Hawi. (n.d.). Dohat al-Wuzara fi Tarikh Waqa'i' Baghdad al-Zawra. Translated by: Musa Kazim Nouris. Beirut: Dar al-Kateb al-Arabi.
27. Longrigg, Stephen. (1985). Hemsley, Four Centuries of Modern Iraqi History. Translated by Ja'far al-Khayyat. 6th ed. Baghdad: Arkan Press.
28. Lailani, Najm al-Din Abdul Sattar Sadiq. (2009). The Ottoman Navy during the Reign of Sultan Suleiman the Magnificent 1520-1566 AD. Tikrit University, College of Education: Unpublished Master's Thesis.
29. Anonymous author. (2010). Rawdat al-Akhbar fi Dhikr Arad al-Akhyar. Edited by: Imad Abdul Salam Raouf. Sulaymaniyah: Shafan Press.
30. Mantran, Robert et al. (1993). History of the Ottoman Empire. Translated by: Bashir al-Sibai. Vol. 1. Cairo: Dar al-Fikr for Studies.
31. Al-Azzawi al-Muhami, Abbas. (n.d.). Encyclopedia of the History of Iraq Between the Two Occupations. Beirut: Library of Civilizations.
32. Muhami, Muhammad Farid Bey. (1981). History of the Sublime Ottoman State. Edited by Ihsan Haqi. Beirut: Dar al-Nafayes.
33. Oglu, Najat Kawthar. (2015). Pages from the History of Kirkuk from the Dawn of History to 1958. London: Dar al-Hikma.
34. Nour, Alaa Musa Kazim. (1979). Nader Shah's Campaign on Baghdad. Baghdad: Al-Mawrid Magazine. Vol. 8, No. 4.
35. Nour, Alaa Musa Kazim. (1979). Iraq during the Ottoman Era: A Study of Political Relations 1700-1800 AD, Studies Series, Baghdad.
36. Nouri Pasha, Mustafa. (1327 AH). Results of Incidents, Volume 3, Second Edition. Istanbul: Akhwat Press.
37. Al-A'zami, Ali Zarif. (1927). History of the Persian States in Iraq. Baghdad: Al-Furat Press.
38. Al-Nabhani, Muhammad Khalifa bin Hamad bin Musa. (1342 AH). Al-Tuhafat Al-Nabhaniyya fi Tarikh Al-Jazeera Al-Arabiya. 2nd ed. Egypt: Al-Mahmoudiya Press.
39. Hamilton, Gibb and Harold Bowen. (1971). Islamic Society and the West. Translated by Ahmed Abdel Rahim Mustafa. Vol. 2. Cairo: Dar Al-Maaref.